الفصل الثانى

النفعية الأخلاقية

الفصل الثانى

النفعية الأخلاقية

أولاً: القيمة الأخلاقية بين النسبية والإطلاق

عند الحديث عن القيمة الأخلاقية بين النسبية Relative والإطلاق Absolute تتبادر إلى الذهن تساؤلات تبدو فى غاية الأهمية منها: هل الأحكام الخلقية التى نصف بها مواقف الحياة الأخلاقية واحدة؟ أم أنها أحكامٌ متعددةُ الرؤى على غرار من يحكم أو يقرر ذلك الحكم الخلقى؟ وهل كان رسل من دعاة النسبية الأخلاقية أم أنه أحد الفلاسفة الذين ينادون بأن القيمة الأخلاقية مطلقة من حيث الحكم عليها ولا تختلف باختلاف الرؤى عبر الزمان أو المكان؟ و إذا كان رسل من دعاة النسبية الأخلاقية فكيف أكد نسبيته الأخلاقية التى ينشدها؟

يقول رسل «أول نقطة أتناولها بالنظر هى: هل يمكن أن تكون هنالك قواعد أخلاقية ثابتة تحدد الفضيلة فى شتى مواقف الحياة، بحيث إذا روعيت تلك القواعد كلها أصبحت الفضيلة كاملة، وبحيث يوصف بالرذيلة من يخرج على قاعدة منها؟ إن أول ما نعارض به هذه الوجهة من النظر هو أنه يوشك أن يستحيل على أية مجموعة من القواعد أن تشمل السلوك البشرى بأسره، خذ لذلك مثلاً، الوصايا العشر التى هى مجموعة من القواعد تتخذ أساسًا للأخلاق، فهل تنص هذه الوصايا على ما يفيد إن كان من الخير للناس أن يتبعوا قاعدة الذهب فى معاملاتهم الاقتصادية؟ فإن لم يكن فيها ما يهدى فى هذا الصدد، كان يعنى ذلك أن على الناس أن يقسموا سلوكهم قسمين: أحدهما تراعى فيه شرائع الأخلاق، والآخر يترك للمصادفات والتجربة، وهو انقسام لا يرضى الفيلسوف»[1].

(1) برتراند رسل: الفلسفة بنظرة علمية، مصدر سابق، ص190.

يؤكد النص السابق على حقيقة مهمة، وهى أن برتراند رسل يرى منذ البداية كون القواعد الأخلاقية نسبية ومتباينة حسب الظروف والأحكام الإنسانية، فهو إذاً يعد من الفلاسفة القائلين بنسبية القيم، وهم الفلاسفة الذين يؤكدون أن الأحكام الأخلاقية فى جوهرها أحكام وجدانية تستند إلى العواطف وترتكز على الانفعالات، وهى بطبيعتها أحكام نسبية تختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، ومن فرد إلى فرد، إن لم نقل إنها تختلف لدى الفرد الواحد باختلاف حالاته الوجدانية[1]. وعليها تتغير القواعد الخلقية بتغير الظروف وتوصف بأنها نسبية، أما المبادئ فلابد أن تَصْدُق فى كل زمان ومكان[2].

ولقد أكد رسل أن معيار التقدير الأخلاقى وكذلك الاهتمام يختلف من مجتمع لآخر، ففى المجتمعات الأرستقراطية Aristocratic epochs يتم تقدير الشخص واحترامه حسب أصله وميلاده، أما فى المجتمعات الأدبية كـ(باريس مثلاً) يتم تقدير الشخص واحترامه حسب نبوغه وتفوقه الأدبى[3].

ويتفق برتراند رسل مع الفيلسوف الأمريكى جورج سانتيانا فى القول بنسبية القيم، حيث يقول الثانى «أنا لا املك إلا التفكير فى نسبية القيم»[4]. فقولنا أن هذا الشيء جميل بالنسبة لذلك الشخص يكون جميلاً بالنسبة لشخص آخر، هو عبارة عن قول لا معنى له ولا تعبير، حيث أنه من الواضح أن هذا النوع من الإلزام يكون من أجل التعرف على نفس الصفات مرهوناً بامتلاك نفس القدرات ونفس المقومات الشخصية، ولكن في الواقع لا يوجد شخصان لديهم نفس المقومات، أو أن تكون الأشياء بالنسبة للاثنين تستطيع أن تكون لديها بالضبط نفس الصفات ونفس القيم، فعندما كانت الطبيعيات البشرية للشخصين مختلفة، فإن الصورة التي تبدو لهذا الشخص غير مرئية وغامضة وغير معروفة، فإنها تكون بالنسبة للشخص الآخر صورة ظاهرة وواضحة ومعروفة[5].

(1) محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقى فى الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص28.

(2) أحمد الأنصارى: الأخلاق الاجتماعية عند برتراند رسل، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م، ص59.

(3) Bertrand Russell: Sceptical Essays, op. cit, p.83.

(4) G. Santayana: Little Essays , Edited by, Logan Pearsall Smith, Charles Scribner's Sons, New York, 1931, p.240.

(5) Ibid: p.241.

ويوضح رسل رؤيته فى النسبية الأخلاقية ببعض الأمثلة التى تبين مدى الاختلاف بين كافة البشر فى الأحكام الخلقية على الأشياء، منها: هل يجوز للزوج أن يقتل عاشق زوجته؟ هذا سؤال قد تجد داخل المجتمع الواحد من يجيب عنه بالإيجاب ومن يجيب عنه بالنفى، وما أكثر ماترى رأى عامة الناس فى ناحية وحكم القضاء فى ناحية أخرى، أو أن ترى حكم الشرع فى ناحية وحكم عامة الناس فى ناحية أخرى، وهكذا، وإن أمثال هذه الحالات التى يحيط بها الشك واختلاف الرأى لتزداد عندما تجتاز قواعد السلوك مرحلة من التغيير[1].

كما أن بعض القبائل لا تبيح لرجل أن يتزوج إلا إذا قتل عدوًا، وجاء برأسه فى حفلة عرسه، فإذا شك شاكٌّ فى سلامة هذا السلوك كان فى رأى أهل القبيلة إباحيًا مستهترًا يهبط بمستوى الرجولة[2].

وأيضًا من الأمثلة المؤيدة للنسبية الأخلاقية - كما يقول رسل - أن البحث عن السعادة يختلف من دولة لأخرى، فإذا سافر شخصًا ما من أوروبا إلى أمريكا سيشعر بأنه يعيش فى المستقبل الباهر، بينما إذا سافر شخص ما إلى الصين، فسيشعر بأنه يعيش حياة القرون الوسطى. فالحضارة الغربية المتمثلة فى الأمريكتين وأوروبا تؤمن بالتقدم، بينما الحضارة الشرقية كالصين أو اليابان مثلاً تؤمن بالعود إلى العصور القديمة، وحكم كونفوشيوس Confucius، وأن الماضى لديهم أفضل بكثير من الحاضر، وهذا راجع إلى أثر تعاليم كونفوشيوس على الشعب الصينى[3].

ويؤكد رسل هنا أن كونفوشيوس كان معتدلاً فى حكمه على أخلاقيات جميع الأشياء، فلم يكن يؤمن بأن يكون مقابل الشر Evil خيرًا، ولكن كان مؤمنًا بأنه لابد أن يكون مقابل الشر شرًا، والخير خيرًا، وهذا على النقيض مما كان يدرّسه معاصروه، وهو إيمانهم الكامل بأن يكون مقابل الشر خيرًا، حتى يصبح الإنسان الشرير إنسانًا خيرًا[4].

وهنا يمكن تلخيص الفرق بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية، فى أن الصين الشرقية

(1) برتراند رسل: الفلسفة بنظرة علمية، مصدر سابق، ص188.

(2) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(3) Bertrand Russell: Sceptical Essays, op. cit, p.99.

(4) Ibid: p.102.

مثـلاً تبحث عن المتعة، فى حين أن الحضارة الغربية تبحث عـن القوة، ولذلك فنحن الغربيون نحـب القوة أكثر من أى شىء فى الطبيعة، ولكـن لا يبحث الصينيون عن القوة، فالصينى يجهد نفسه فى العمل كثيرًا لكى يكسب قوت يومه، ثم يذهب بعدها للاستمتاع بالطبيعة التى حوله، من مسرح وسينما وغيرها، أما الغربيون فيفضلون الذهاب إلى مكاتبهم، ويعدون المتعة ضياع للوقت، فليس هناك ترفيه[1].

وهذا مثالٌ آخر لتغير القواعد الخلقية بتغير الظروف ووجهات النظر: هل يجوز أن يقتل الزوج عاشـق زوجته؟ تجيب الكنيسـة بـ «لا»، ويجيب الإدراك الفطرى السليم أن لا، ولكن القانون يجيب بـ «نعم»، إذ أنه كثيرٌ ما يبرئ القاتل فى مثل هذه الظروف[2].

من خلال الأمثلة السابقة التى توضح مدى قول برتراند رسل بالنسبية فى القواعد الخلقية، فإن دعاة النسبية الأخلاقية أنفسهم يرون أن كل الدلائل شاهدة على تعدد الشرائع الأخلاقية، دون أن يكـون فى إمكاننا اكتشـاف أية «وحدة» حقيقية بين كل تلـك الاتجاهات الأخلاقية المتباينة، وبالتالى فإنه ليس هناك ما يشـهد بوجـود حقيقة أخلاقية مطلقة. والحق أننا لو عدنا إلى التاريـخ، لوجدنـا أن هناك أخلاقَ شـجاعة وأخلاقَ طاعة، كما أن هنـاك أخلاقَ كبرياءٍ وأخلاقَ تواضعٍ، فضلاً عن أن هناك أيضاً أخلاقَ قوةٍ، وأخلاقَ جمالٍ، وأخلاقَ إراديةٍ، وأخلاقَ شهامةٍ، وأخلاقَ وفاءٍ، وأخلاقَ تعاطفٍ. وكل هذه الاتجاهات الأخلاقية وغيرها كثير، إنما هى الدليـل القاطـع على أن البشرية لم تعـرف يومًا «وصايا أخلاقية مطلقـة» أو «معايير أخلاقية ثابتـة»[3]. ونحن لا ننكر قيام هذا التعـدد الأخلاقى عبر التاريخ البشرى كله، ولكننا نلاحظ أن كل شريعـة من هذه الشرائـع الأخلاقية المتباينة كانت تنظر إلى نفسـها على أنها «الحقيقة الأخلاقية المطلقة»[4].

لقد أكد رسـل أن المعتقدات والمشـاعر الأخلاقيـة توجد فى جميع المجتمعات الإنسـانية المعروفة حتـى أكثرها بدائية. فبعض التصرفات تحظى بالثنـاء وبعضها يقابل باللوم، وبعضها

(1) Ibid: p.107.

(2) زكى نجيب محمود: برتراند رسل، مرجع سابق، ص120.

(3) زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص72.

(4) المرجع السابق: ص73.

يكافأ صاحبها وبعضها يعاقب. وبعض تصرفات الأفراد يسود الاعتقاد بأنها تجلب الرخاء، لا على الفرد وحده، بل على المجتمع أيضًا، وبعضها يعتقد أنه يجلب الكوارث، وبعض هذه المعتقدات مما يمكن الدفاع عنه على أسس عقلية، بيد أن الغالبية الساحقة من المعتقدات فى المجتمعات البدائية خرافية بحتة، وهى التى كثيرًا ما تكون مصدر الوحى فى أول الأمر لكثير من ألوان الحظر التى يتضح فيما بعد أنها مما يمكن تبريره عقليًا[1].

إذا كان دعاة النسبية الأخلاقية يتفقون فى القول بنسبية القواعد الخلقية، فإن الفيلسوف محل الدراسة يؤكد أيضًا بأن القيم الخلقية التقليدية التى كانت سائدة لم تعد الآن ذات قيمة حقيقية فى الحياة المعاصرة، ففى استطاعة أى رجل رأسمالى أن يحرم ملايين البشر من مورد رزقهم بقرار يوقعه بجرة قلم، وهذا القرار لا ينظر إليه أشد رجال الدين تزمتًا وصرامة على أنه خطيئة تستحق العقاب، حيث أنه - أى رجل الدين - يطالب بالتوبة إذا ما تراءى لأحد الناس أن ينحرف انحرافًا جنسيًا بسيطًا، لا تتعدى عواقبه على أسوأ الاحتمالات سوى إضاعة ساعة من زمن كان من الممكن استخدامها فى ما هو أكثر نفعًا[2].

ويؤكد رسل على أن الشرائع التى يعتقد المؤمنون بأنها منزلة من السماء تحتاج من وقت إلى آخر للتعديل، حتى تتمشى مع الظروف والمناسبات وتطور الزمن. ومن أجل هذا كله لا أضع حدًا فاصلاً بين الخير والشر، بل أرى أن الخير فى بعض الأحيان قد ينقلب إلى شر، والعكس صحيح. لذلك لا أجد أى مبرر لكى نفرض عقوبة على سلوك خاطئ أو غير مرغوب فيه إلا إذا كان هذا العقاب رادعًا للمرء ومانعًا له من معاودته. ولكن أن يكون العقاب لمجرد العقاب، فهذا مالا أسلم به، وبالتالى لا أؤمن بأن ثمة جحيمًا لا يستهدف إلا إنزال العقاب بالخطاة[3]. لذلك كان الحمقى وحدهم ومضطربو الفكر هم الذين يطلقون لنزواتهم العنان، وكلما عُرضت لهم رغبة بادروا بتحقيقها دون التفكير فى أثرها فى الناس، وفيما تخلقه من إحساس داخلى بالرضى أو الضيق أو الألم[4].

(1) برتراند رسل: المجتمع البشرى فى الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص17.
(2) برتراند رسل: عالمنا المجنون، مصدر سابق، ص87.
(3) المصدر السابق: ص ص95،96.
(4) المصدر السابق: ص96.

يرى رسل أن الإنسانَ إذا ما حكم على فعل بأنه خير، كانت صفة الخير هذه معبرة عن رغبته الذاتية فى ذلك الفعل، ولم تكن صفة موضوعية فى الفعل ذاته، وبصفة عامة فإن الحديث عن القيم تعبير عن حالة وجدانية عند المتحدث، وليس هو بالحديث الذى يصف شيئًا فى عالم الواقع[1].

إن الـذى يؤكد نظرية الرغبة التى ينادى بها رسـل فى نسـبيته الأخلاقية، هو ما جاءت به نظرية الاهتمام الأخلاقية Ethical Interest التى تؤكد أن حكم القيمة ينتج أيضًا عن رغباتنا الداخلية فى الأشياء، وهذه الرغبة الداخلية تختلف من شخص لآخر، وطبقًا لنظرية الاهتمام - عندما أقول عن شىء بأنه خير أو ذا قيمة، فهذا ليس دليلاً على معرفتى الكاملة بهذا الشىء، إنما يعـبر فقط عن رغبتى الخاصة فى هذا الشىء، وعليه فإن حكم القيمة Value judgment يرجع لرغبتنا فى الأشياء، وليس لكون الأشياء قيمة فى ذاتها، وهذا إن دل على شىء، إنما يدل على كون الأحكام القيمية نسبية تبعًا لإختلاف رغبات البشر[2].

إذن يمكن القول طبقًا لنظرية رسل فى الرغبة النسبية، ونظرية الاهتمام، أن المحك الأساسى فيهـما، هو تناولهما الاختلاف الناشىء عن الأذواق البشريـة المختلفة فى حكمها للقيمة، فعلى سـبيل المثـال، قد يرى شـخصًا ما أن الصحراء مخيفـة ومرعبه، لكونها مجدبـة ولا تصلح لحياة الكائنـات البشريـة عليها، فى حين يرى شـخصًا آخر أن الصحراء تتمتع بالهـدوء التام، وهذا سبب من أسباب الحياة وهدوء النفس فيها، وهذا المثال إن دل على شىء إنما يدل على أن الصحراء تختلف فى التقييم حسـب رغبات البشر، وهذه هى النسبية الأخلاقية[3]. التى ترجع بالضرورة إلى الاختلاف فى عقول البشر، واختلافهم أيضًا فى تقديرهم للأشياء، بالإضافة إلى اختلافهم فى الرأى، لذلك لا يوجد هناك أشياء مطلقة أو ثابتة يمكن أن ندعوها بأنها قيمة[4].

وهنا لابد أن نقف ونتساءل..

كيـف بدا مفهوم الخطيئة فى فلسـفة برتراند رسـل من خلال موقف القيمة النسـبى؟ وما علاقة الخطيئة عند رسل بعصيان أوامر الله؟

(1) زكى نجيب محمود: برتراند رسل، مرجع سابق، ص124.

(2) Sidney Zink: The Concepts of Ethics, op. cit, p.62.

(3) Ibid: p.63.

(4) Ibid: p.61.

يرى رسل «أن هناك صعوبة منطقية فى مفهوم الخطيئة، فلقد قيل لنا أنَّ الخطيئة تتكون من عصيان أوامر الله، ولكن قيل لنا أيضًا إن الله قادر على كل شيء، فإذا كان كذلك فلا شيء يتعارض مع مشيئته يمكن أن يقع، وبالتالى عندما يعصى المذنب أوامر الله فلابد وأن الله أراد لذلك أن يقع. لقد وافق القديس أوغسطين على هذه النظرة بشجاعة، وقرر أن الناس ينقادون للخطيئة بالعمى الذى يصيبهم به الله، لكن معظم اللاهوتيين فى العصور الحديثة أحسوا أنه إذا كان الله يجعل الناس يذنبون فليس من الإنصاف أن يقذف بهم فى جهنم لأمور هم مرغمون عليها. قيل لنا إن الخطيئة هى العمل ضد إرادة الله ولا يزيل ذلك الصعوبة التى نحن بصددها. أولئك الذين يأخذون قدرة الله بجدية، مثل اسبينوزا، فقد استنتجوا أنه لا يمكن أن يوجد شيء يسمى بالخطيئة، قال معاصرو اسبينوزا، لماذا؟ ألم يكن شرًا أن يقتل نيرون أمه؟ ألم يكن شرًا أن يأكل آدم التفاحة؟ هل تستوى الأفعال خيرها وشرها؟ تملص اسبينوزا ولم يجد أية إجابة شافية. إذا كان كل شيء يقع وفقًا لإرادة الله فلابد وأن الله أراد أن يقتل نيرون أمه، ولأن الله طيب فلابد وأن القتل كان أمرًا طيبًا»[1].

إن الذى جعلَ رسل يضرب أمثلة الخطيئة النسبية بالفيلسوف البولندى باروخ اسبينوزا، هو أن «اسبينوزا» لم يكن فى حياته ذلك الزاهد فى الحياة عن إنكار أو كراهية لها، كما أنه لم يكن ذلك المفكر المنعزل الغارق فى تأملاته بين جدران أربعة، بل كان محبًا للحياة، حريصًا على المشاركة فى شؤون مجتمعه والتفاعل الإيجابي بها[2]. لذلك شُبه «اسبينوزا» بـ«سقراط» فى العالم القديم، حيث رأى كل منهما أن الأفعال الخاطئة التى يأتي بها السلوك الإنسانى، هى نتيجة الجهلignorance بالمعرفة الأخلاقية، فالسلوك السيء أو الشرير vicious conduct هو نتيجة أساسية لإخفاق العقل[3].

كما أن «اسبينوزا» الفيلسوف الوحيد فى العصور الحديثة الذى يدخل فى عداد المؤمنين بالطبيعة فى الفكر الأخلاقى، وكانت أهم مبادئه أن الأخلاق عبارة عن شيء طبيعى، كما

(1) برتراند رسل: مختارات من أفضل ما كتب، مصدر سابق، ص132.

(2) فؤاد زكريا: اسبينوزا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2009م، ص31.

(3) Anthony Kenny: The Rise of Modern Philosophy, volume III, Clarendon Press, Oxford, New York, 2006, P.261.

أن الأخلاق نسبية، ولا يمكن أن تكون فى أى حال من الأحوال أخلاقًا اعتباطية، حيث يتم وضعها والتعرف عليها من أجل الصفات الموروثة لكل إنسان أى من خلال الأشكال المتباينة للفعل والسعادة[1]. وهذه السعادة يراها «اسبينوزا» تقوم فى قدرة الإنسان على المحافظة على وجوده، حيث أن العقل لا يطالب بشيء متناف مع الطبيعة ولا مضاد لها[2]. فالعقل قوة من قوى الطبيعة، ونظام من الأفكار المطابقة التى تحدد فضائلنا بالضرورة، كما أن الإنسان مقود بعقله بالضرورة[3].

يؤكد رسل أن «صور الأخلاقيات القائمة على التحريم بقيت فى المجتمعات المتمدينة بمدى أكبر مما يدركه بعض الناس، فقد حرم فيثاغورث أكل الفول، واعتقد أمبادوقليس بأنه من الشر مضغ أوراق نبات الغار، و يرتعد الهندوس لفكرة أكل لحم البقر، والمحمديون واليهود الأصوليين يعتبرون لحم الخنزير نجاسة، أما القديس أوغسطين، رسول التبشير لبريطانيا، فقد كتب للبابا جريجورى الأكبر ليسأل هل يمكن للمتزوجين القدوم إلى الكنيسة لو كانوا قد مارسوا الجنس فى الليلة السابقة، وقرر البابا أن بإمكانهم ذلك إذا ما قاموا بالاغتسال وفقًا للطقوس، كما كان هناك قانونٌ يجعل من غير المشروع لرجل أن يقبل زوجته يوم الأحد»[4]. و يستطرد رسل كلامه فيقول «وفى سنة 1916م أرسل أحد رجال الدين من سكوتلانده كتابًا إلى الصحف يعزو عدم نجاحنا فى الحرب ضد الألمان إلى أن الحكومة شجعت زراعة البطاطس فى أيام الآحاد»[5].

ومن دلائل النظرة النسبية للقيمة يرى رسل أن النظرة الرواقية تعد مسيحية، حيث تتطلب تصورًا للفضيلة يختلف تمامًا عن تصور أرسطو، فهى تقرر أن الفضيلة ممكنة للعبد كما هى ممكنة لسيده، فالأخلاقيات المسيحية تستنكر التكبر، الذى يعتقد أرسطو بأنه فضيلة، وتمتدح الوداعة التى يعتبرها نقيصة، فالفضائل العقلية التى يضعها أفلاطون وأرسطو على درجة أعلى من

(1) G. Santayana: persons and places, the Background of my life, Charles Scribner's Sons, New York, 1944, P.244.

(2) عبد الرحمن بدوى: الأخلاق النظرية، مرجع سابق، ص260.

(3) المرجع السابق: ص259.

(4) برتراند رسل: مختارات من أفضل ما كتب، مصدر سابق، ص139.

(5) برتراند رسل: المجتمع البشرى فى الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص21.

كل ما عداها، حيث يجب محوها تمامًا من القائمة لكى يصبح الفقير والوضيع قادرين على أن يكونا فاضلين كأى فرد آخر»[1]. فمادمنا بصدد الأحكام الأخلاقية فلن يكون من حقنا أن نقصرها على فئة معينة من الناس، فإذا قلنا مثلاً: إن على الإنسان أن يسلك بأمانة، فإن هذا لا يتوقف على حجم أو شكل أو لون أولئك الذين يتعامل معهم مثل هذا الإنسان، ومن هنا فإن المشكلة الأخلاقية - كما يرى فيلسوفنا- تؤدى إلى ظهور مفهوم الإخاء بين البشر، وهذا هو الرأى الذى عبر عنه المذهب الرواقى لأول مرة تعبيرًا صريحًا ثم وجد طريقه فيما بعد إلى المسيحية[2].

بناءً على ما تم تقديمه، يعد برتراند رسل رائدًا من رواد النظرية الأخلاقية المعاصرة، فقد تبنى الموقف النسبى فى الحكم على القيمة الأخلاقية، وبذلك يعد رسل على النقيض من الفلاسفة الذين قالوا بأن القيمة الأخلاقية مطلقة، فهى واحدة من حيث الزمان والمكان، وحجتهم فى ذلك بأنهم يقولون أننا لو سلمنا بأن الأخلاق «علم»، و إذا اعترفنا فى الوقت نفسه بأن من شأن كل «علم» أن ينطوى على مجموعة من الحقائق العامة التى تتسم بطابع الصدق، فلابد لنا من التسليم بأن «علم الأخلاق» ينطوى على مجموعة من الأحكام الأخلاقية التى لا تصدق بالنسبة إلى فرد واحد بعينه، بل تصدق بالنسبة إلى الأفراد جميعًا فى كل زمان ومكان[3].

وعلى النقيض من موقف فلاسفة الأخلاق المطلقة، يرى رسل فى دعوته إلى النسبية الأخلاقية، أن ماهية الدستور الخلقى الذى يتخذه نبراسًا له فى الحياة، أنه لم يوجد مثل هذا الدستور الخلقى الذى لا يحتمل الشك أو التعديل حتى الآن، بل أرى أن المرء ينبغى له أن يحدد لنفسه مسائل الخلق والسلوك، كما لا أرى ضيرًا من أن أنتفع بحكمة الأخرين وخبرتهم، وهذا لا يعنى الأخذ بأقوالهم وفلسفاتهم قضايا مسلمة دون بحث أو اقتناع[4]. وكان يرى أن أول القوانين الأخلاقية هو التفكير المستقيم: حيث يقول «أن يهلك العالم خير من أن أصدق أنا أو أى إنسان غيرى، أكذوبة ما... فذلك هو دين الفكر الذى فى اشتعاله تذوب نفايات العالم»[5].

(1) برتراند رسل: مختارات من أفضل ما كتب، مصدر سابق، ص138.

(2) برتراند رسل: حكمة الغرب، الجزء الثانى، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة: فؤاد زكريا، عدد يوليو365، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2009م، ص270.

(3) زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص60.

(4) برتراند رسل: عالمنا المجنون، مصدر سابق، ص95.

(5) جون لويس: رسل، مرجع سابق، ص12.